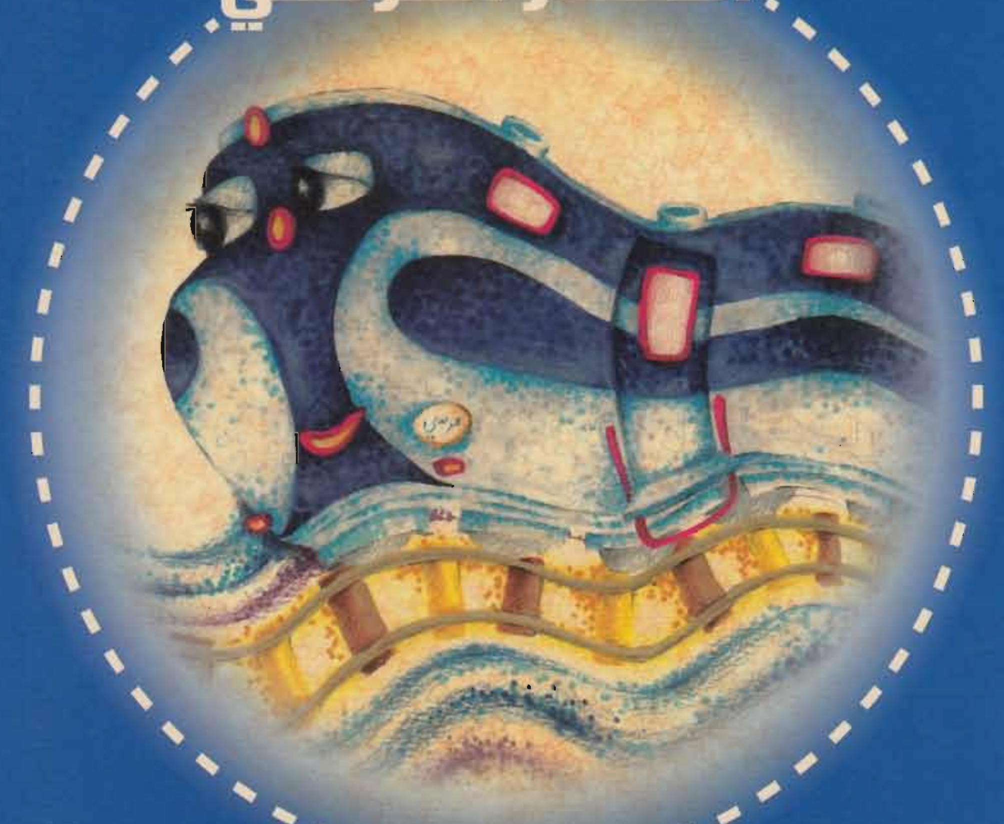


مُرسي

القطار الفَرَنْسي



قصة: أماني العشماوي

رسوم: رانيا أبو المعاطي



مغاوري

قطار مجري، أحب المصريين وتمنى
أن يكون واحدًا منهم.



سباعي

قطار أسباني، أحب المصريين
وموسيقاهم وغناءهم.



مُرسي

قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف
المصريين وتعاونهم.



سنباطي

قطار صيني، أعجب بلغة مصر ومعالمها
وحضارتها.

إسماعيل

قطار يوغوسلافي من البوسنة،
سمح وكريم.



عتريس

شاب متحمس، من مَلَّوي في الصعيد.



كساب

بريطاني الأصل رفض مغادرة مصر
مع قوات الاحتلال.



دسوقي

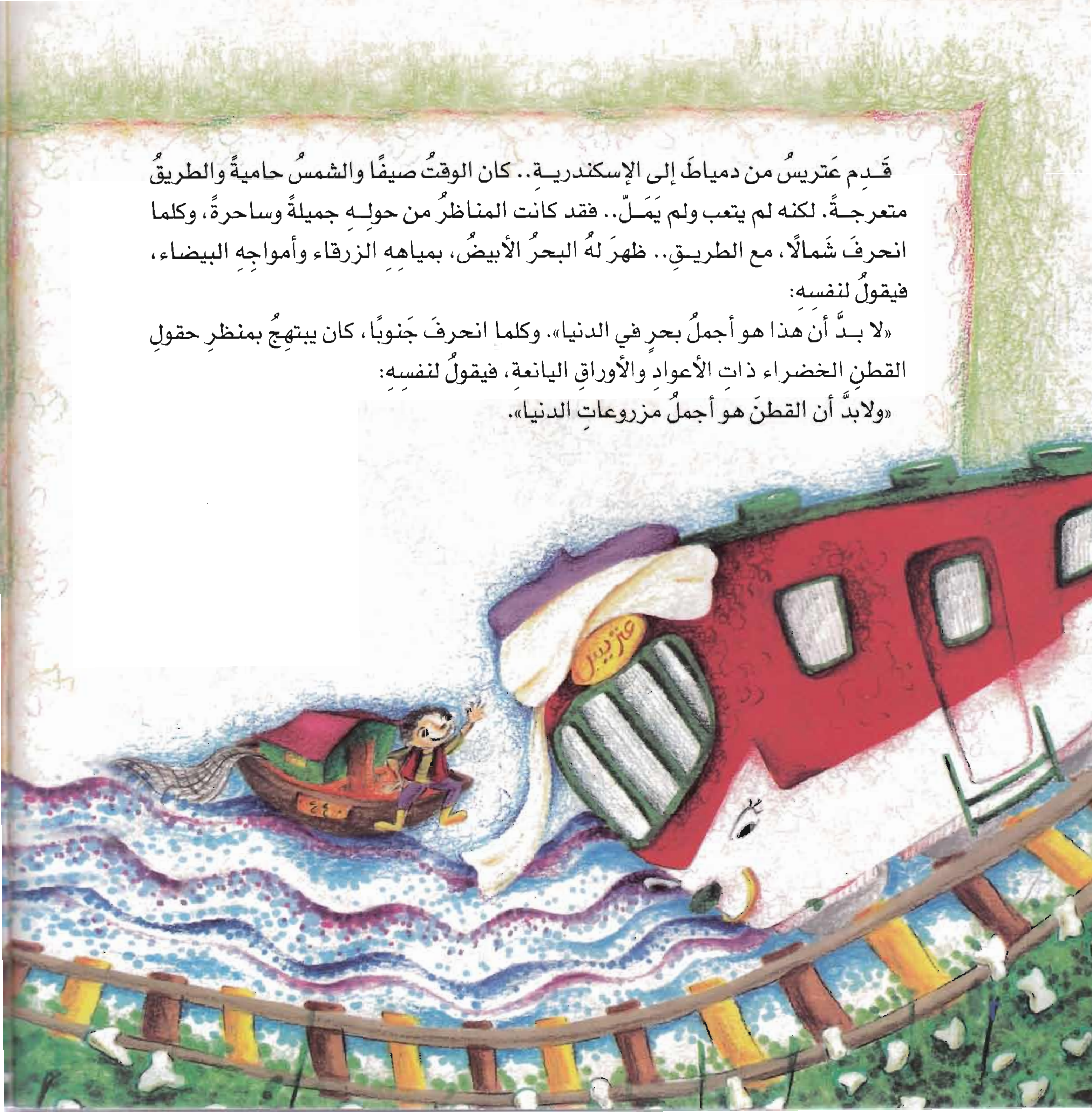
مصري أصيل، كبير السن من دسوق
بكفر الشيخ.



قصة
أماني العشماوي

رسوم
رانيا أبو المعاطي

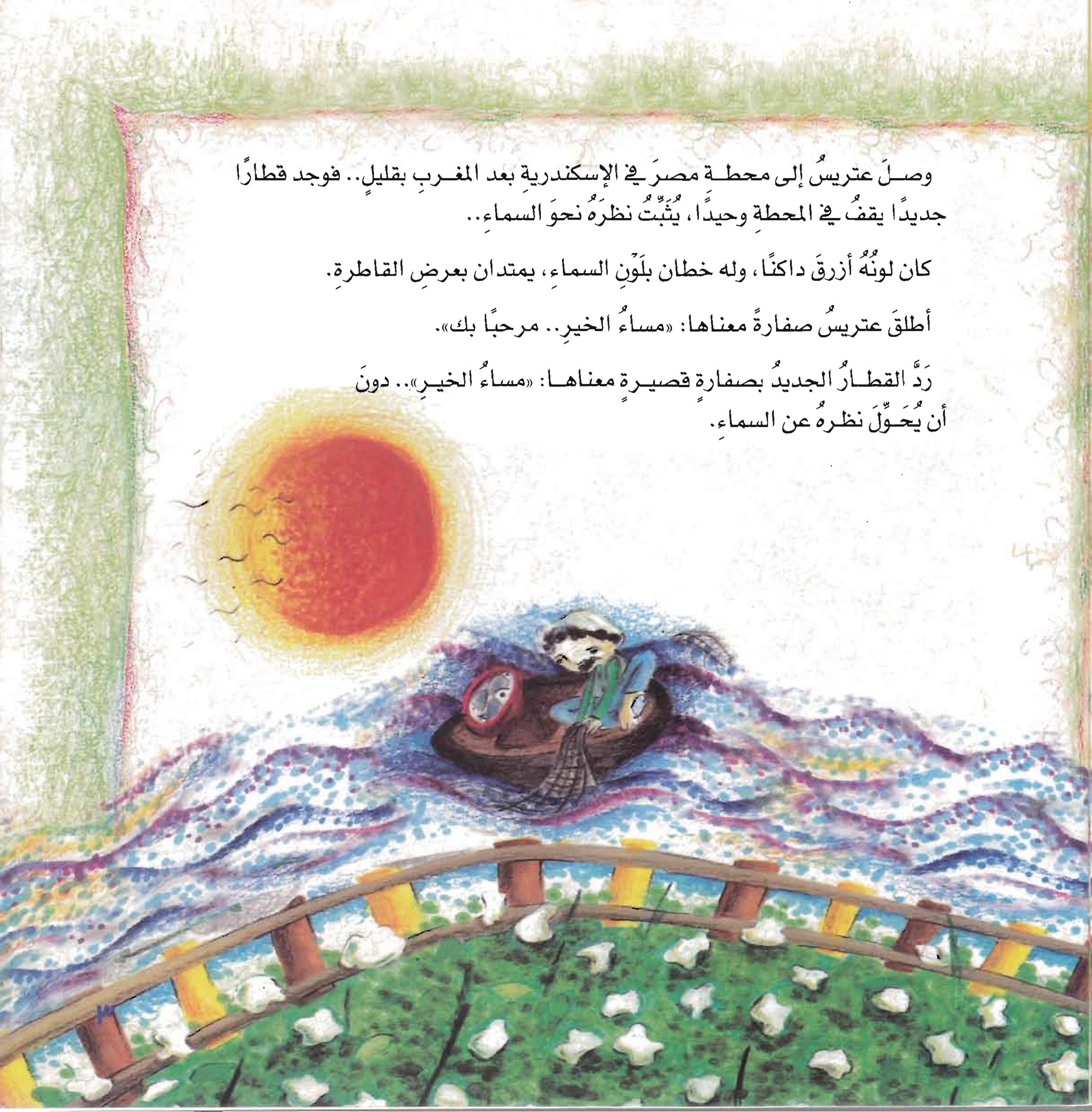
رقم الإيداع : ٨٩٩٩/٢٠١٠ ISBN: 978-977-09-2823-1
www.shorouk.com



قَـدِم عَتريسُ من دمياطَ إلى الإسكندريــةِ.. كان الوقتُ صيفًا والشمسُ حاميةً والطريقُ متعرجــةً. لكنه لم يتعب ولم يَمَـلّ.. فقد كانت المناظرُ من حولِـهِ جميلةً وساحرةً، وكلما انحرفَ شَمالًا، مع الطريـقِ.. ظهرَ لهُ البحرُ الأبيضُ، بمياهِهِ الزرقاء وأمواجِهِ البيضاء، فيقولُ لنفسه:

«لا بـدَّ أن هذا هو أجملُ بحرٍ في الدنيا». وكلما انحرفَ جَنوبًا، كان يبتهِجُ بمنظرِ حقولِ القطنِ الخضراء ذاتِ الأعوادِ والأوراقِ اليانعةِ، فيقولُ لنفسِهِ:

«ولابدَّ أن القطنَ هو أجملُ مزروعاتِ الدنيا».

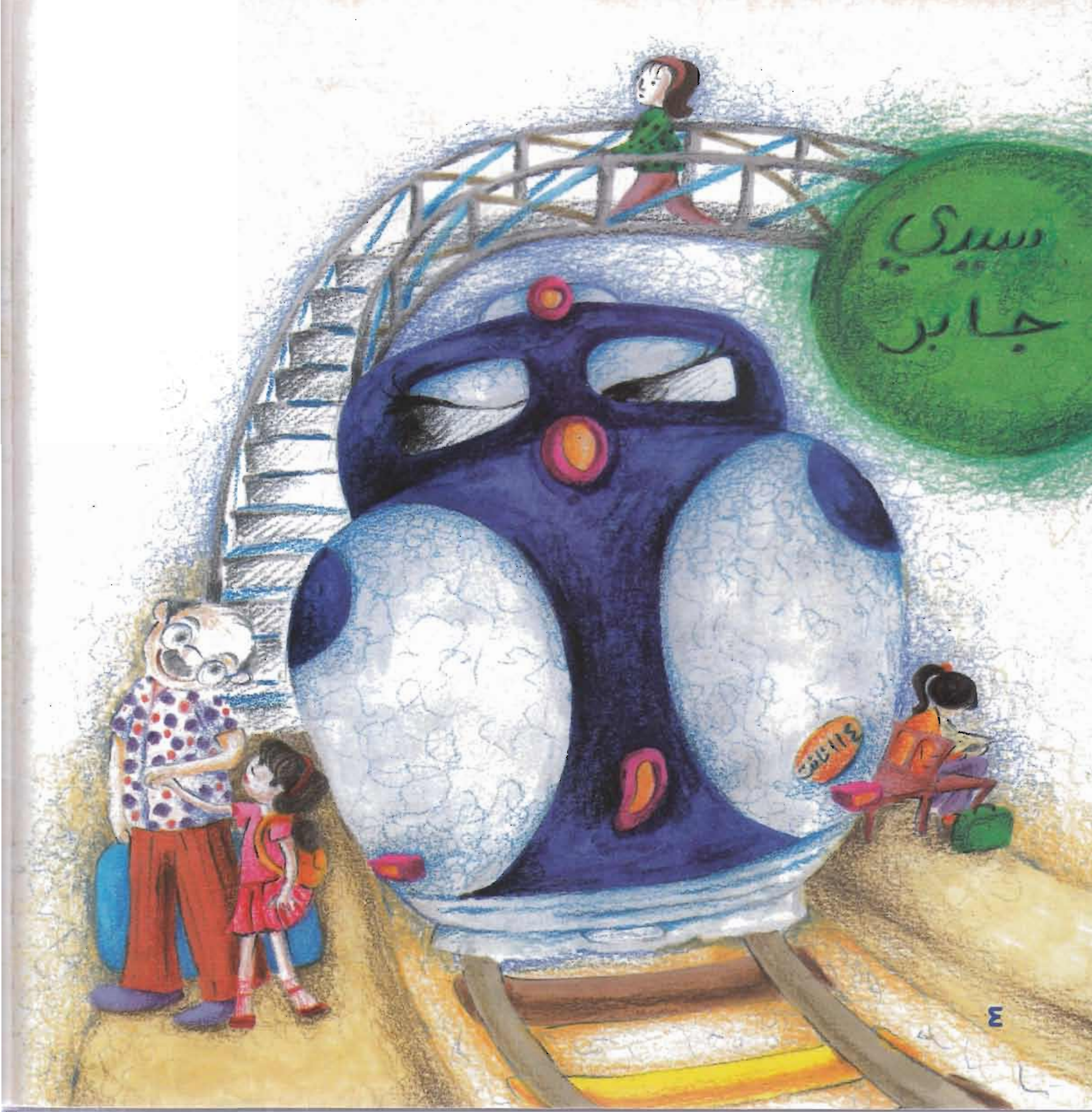


وصـلَ عتريسُ إلى محطـةِ مصرَ في الإسكندريةِ بعد المغـربِ بقليلٍ.. فوجد قطارًا جديدًا يقفُ في المحطةِ وحيدًا، يُثَبِّتُ نظرَهُ نحوَ السماءِ..

كان لونُهُ أزرقَ داكنًا، وله خطان بلَوْنِ السماءِ، يمتدان بعرضِ القاطرةِ.

أطلقَ عتريسُ صفارةً معناها: «مساءُ الخيرِ.. مرحبًا بك».

رَدَّ القطـارُ الجديدُ بصفارةٍ قصيـرةٍ معناهـا: «مساءُ الخيـرِ».. دونَ أن يُحَـوِّلَ نظرهُ عن السماءِ.


سيدي
جابر



تعجبَ عتريسُ، لكنه عادَ وأطلقَ صفاراتٍ معناها: «اسمي عتريسُ.. يبدو أنكَ جديدٌ هنا».

أجابَ القطارُ الجديدُ باختصارٍ: «لستُ جديدًا.. فقد صُنِعْتُ منذُ عامَيْن»

قالَ عتريسُ لنفسهِ: «لا أظنَّ أننا سنكونُ أصدقاءً». وانشغلَ بأعمالِ الصيانةِ التي يُجريها له عمالُ المحطةِ. ثم نامَ دونَ أن ينظُرَ جِهَةَ القطارِ الجديدِ.

في صباحِ اليومِ التالي، وصل كسّابٌ.. وأطلقَ صفارتَهُ المعتادةَ، تحيةً لمن يكونُ موجودًا في المحطةِ. فَردَّ عتريسُ تحيتَهُ بصفارتِهِ المرحةِ.. أما القطارُ الجديدُ فأطلقَ صفارةً واحدةً فقط.. فقال له كسّابٌ، بلغة الصفيرِ: «أنتَ قطارٌ فرنسيٌّ أليس كذلك؟ مرحبًا بك.. اسمي كسّاب».

قـالَ القطـارُ الجديدُ متعجبًا: «نعـم أنا فَرنسيٌّ.. لم أسمعْ عـن قطارٍ إنجليزيٍّ اسمُه كسّابٌ عرفتُ أنك إنجليزيٌّ من الأرقامِ المحفورةِ على قاطرتِك».

قال كسّابٌ: «كنتُ إنجليزيًّا لكني الآن مصريٌّ.. وكسّابُ هو اسمي العربيُّ».

سألَ الفرنسيُّ بفزعٍ: «هل يغيرون لنا أسماءنا؟ لا أريدُ أن أُغيرَ اسمي.. أريدُ أن أظَلَّ القطارَ الفرنسيَّ ١١٤ نانت».

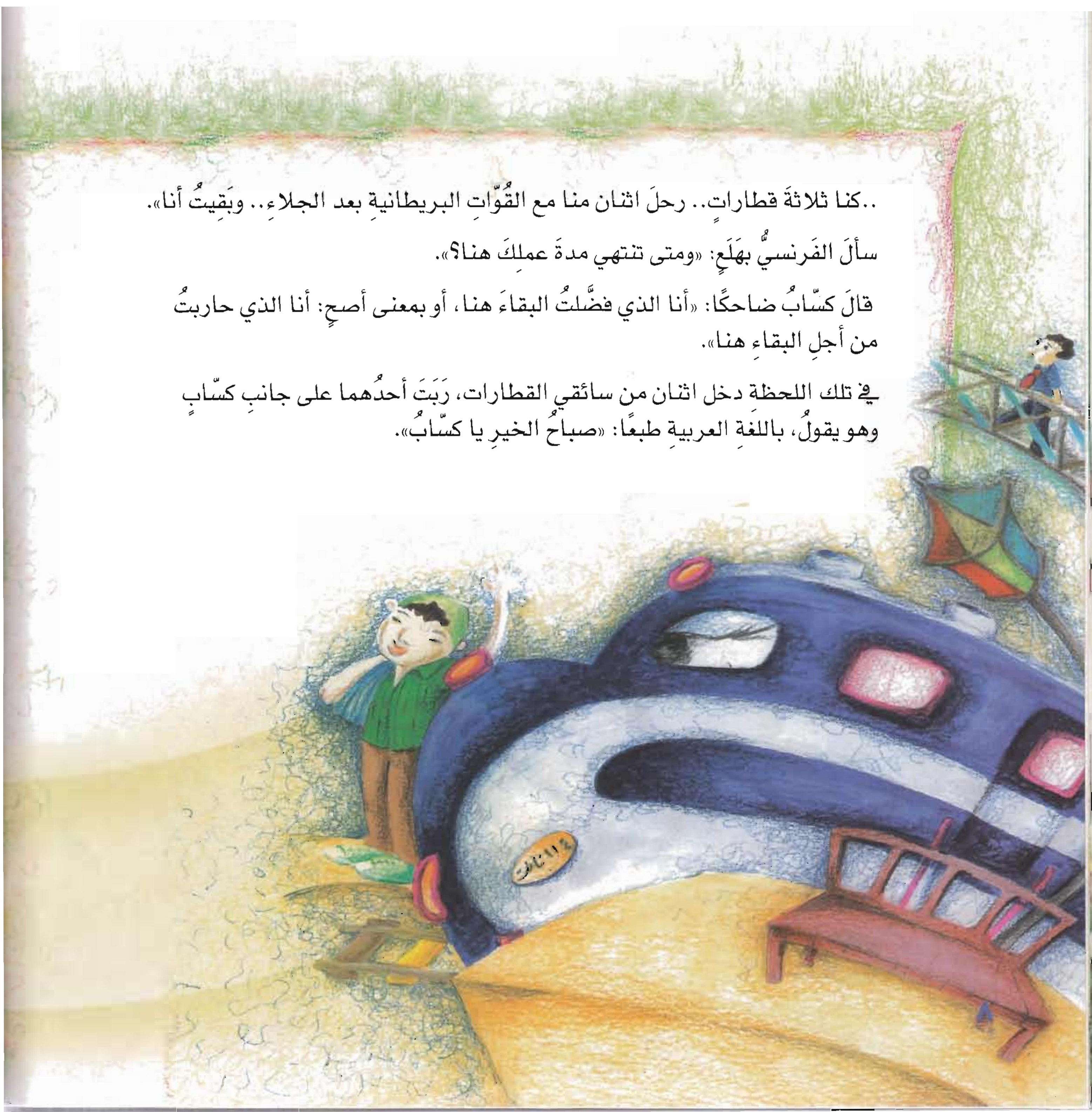
تدخَّلَ عتريسُ قائلًا: «لا تَخَفْ.. لن يفرضوا عليك شيئًا.. ستظلَ قطارًا فَرنسيًّا إذا أردتَ ذلك».. ثم أغمضَ عينيْهِ كأنه نائمٌ حتى لا يشتركَ في باقي الحديثِ.

قـالَ كسّابٌ للفَرنسيِّ برِقةٍ: «ستُعجِبُكَ الحياةُ هنـا.. هل هذه هي أولُ رحلةٍ لك خارجَ فرنسا؟».

قـالَ الفَرنسيِّ: سافرتُ مرةً واحدةً فقط إلى إنجلترا، عن طريقِ النَّفَقِ المحفورِ تحت بحرِ المانش.. منذ متى تعيشُ في مصرَ ياسيد كسّاب؟».

قال كسّابُ: «أنا هنا منذُ منتصفِ القرنِ العشرين..



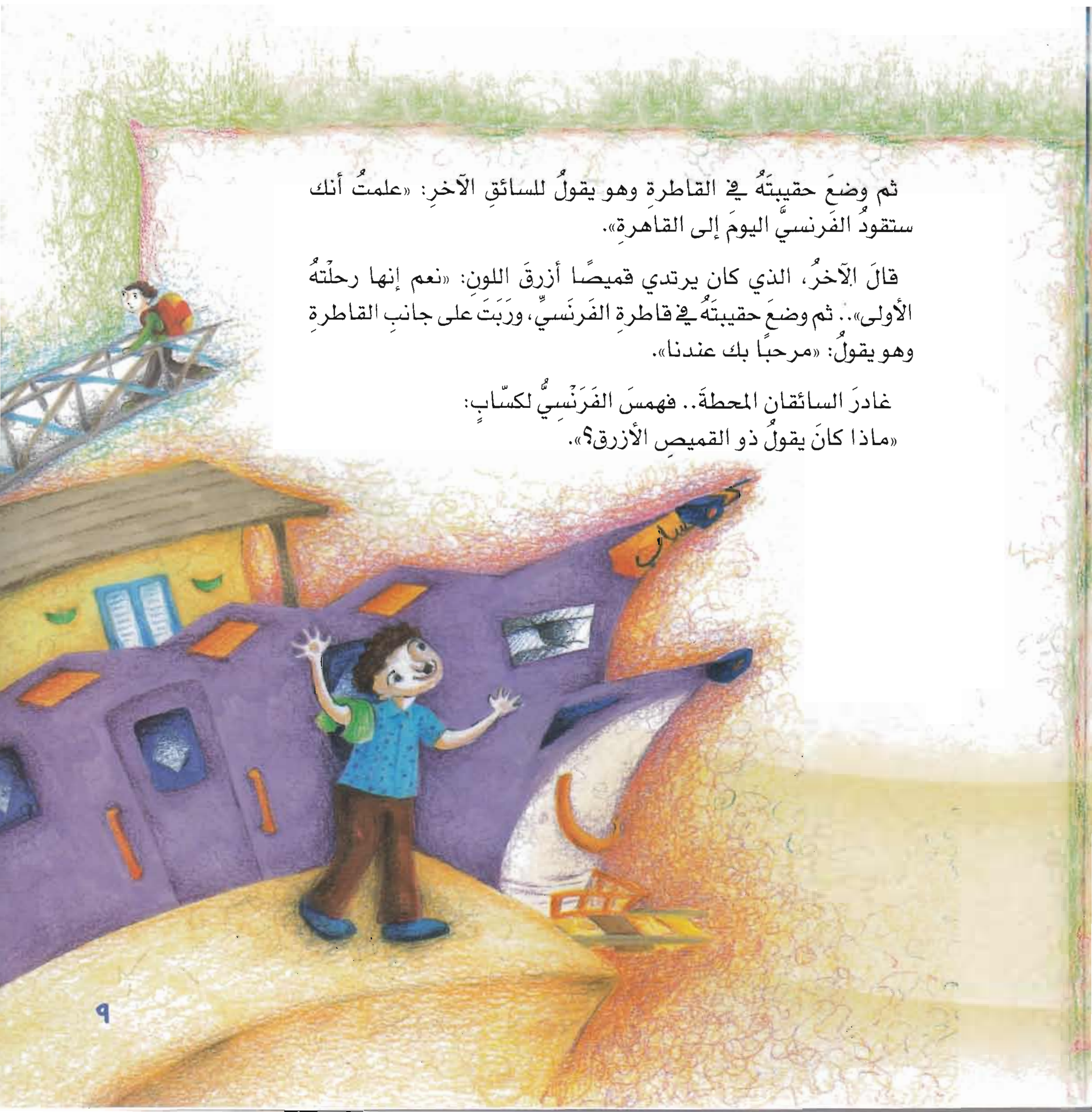


..كنا ثلاثةَ قطاراتٍ.. رحلَ اثنان منا مع القُوّاتِ البريطانيةِ بعد الجلاءِ.. وبَقِيتُ أنا».

سألَ الفَرنسيُّ بهَلَعٍ: «ومتى تنتهي مدةَ عملِكَ هنا؟».

قالَ كسّابُ ضاحكًا: «أنا الذي فضَّلتُ البقاءَ هنا، أو بمعنى أصحٍ: أنا الذي حاربتُ من أجلِ البقاءِ هنا».

في تلك اللحظةِ دخل اثنان من سائقي القطارات، رَبَتَ أحدُهما على جانبِ كسّابٍ وهو يقولُ، باللغةِ العربيةِ طبعًا: «صباحُ الخيرِ يا كسّابُ».



ثم وضعَ حقيبتَهُ في القاطرةِ وهو يقولُ للسائقِ الآخرِ: «علمتُ أنك ستقودُ الفَرنسيَّ اليومَ إلى القاهرةِ».

قالَ الآخرُ، الذي كان يرتدي قميصًا أزرقَ اللونِ: «نعم إنها رحلَتُهُ الأولى».. ثم وضعَ حقيبتَهُ في قاطرةِ الفَرَنَسيِّ، ورَبَتَ على جانبِ القاطرةِ وهو يقولُ: «مرحبًا بك عندنا».

غادرَ السائقانِ المحطةَ.. فهمسَ الفَرَنْسِيُّ لكسّابٍ: «ماذا كانَ يقولُ ذو القميصِ الأزرقِ؟».



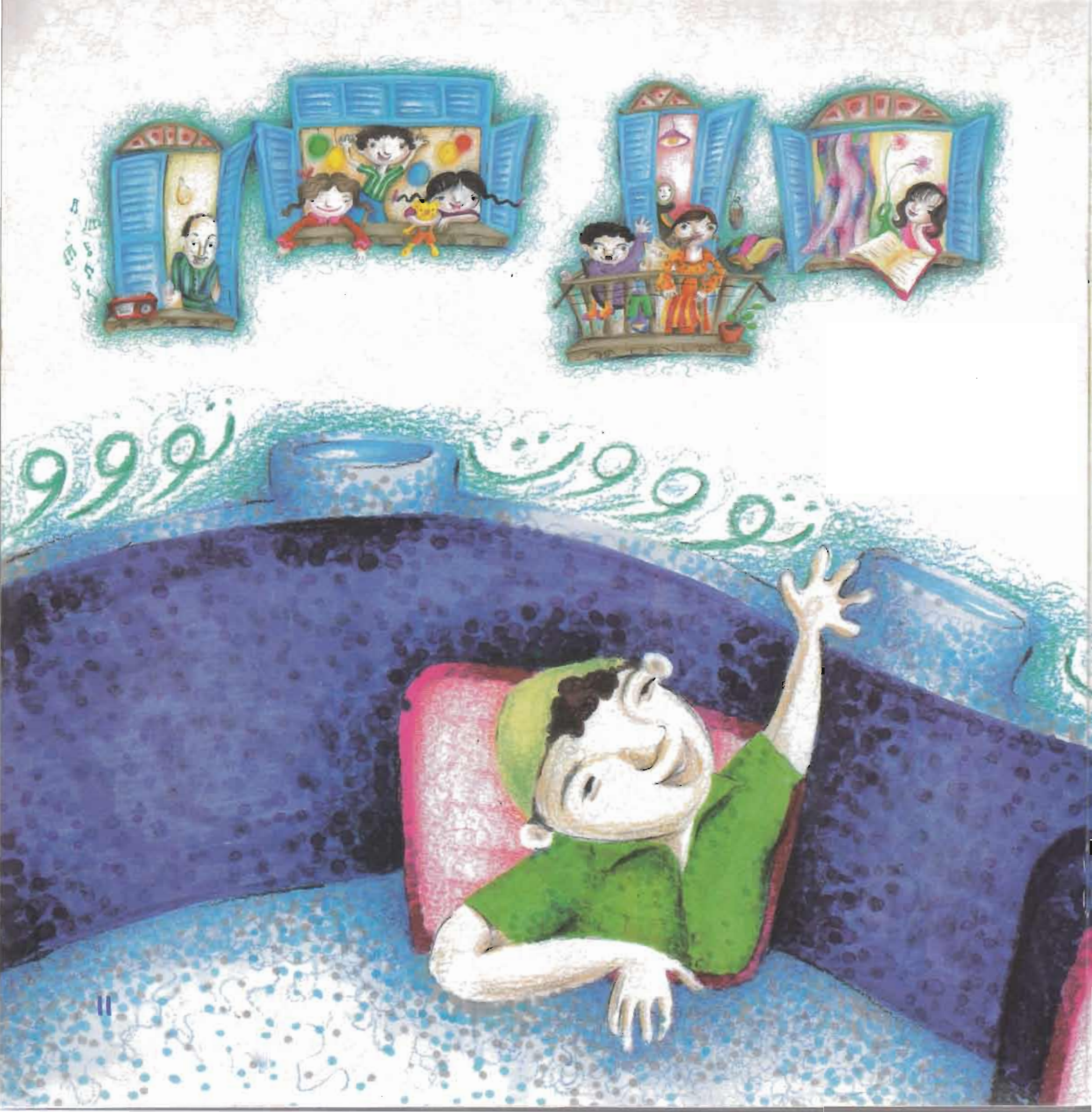
قالَ كسّابُ: «كان يُرحبُ بك، ويقول إنهُ سيقودُكَ في رحلَتِكَ الأولى إلى القاهرةِ».
ردَّ الفَرَنسيُّ متعجبًا:
«لماذا يُرحبُ بي؟ هل تُرحِبُ الناسُ عندكم بالقطارات؟ وكيفَ فهمتَ كلامَهُ؟».

أجابه كسابُ: «القطاراتُ في مصرَ تتحدثُ اللغةَ العربيةَ، لذلك تفهمُ كلامَ الناسِ».

أكملَ كسّابُ: «هذا هو أروع ما في الحياة هنا لذلك أحببتُ مصرَ، وسعيتُ لأكونَ مصريًّا».

قال الفَرَنسيُّ بامتعاضٍ: «أمرٌ عجيبٌ».

في الساعةِ الثانيةِ ظهرًا، انطلقَ الفَرَنسيُّ في رحلته الأولى إلى القاهرة، وكانتَ أعجبُ رحلةً قامَ بها في حياته.. كان الناسُ على طول الطريقِ يُحَيُّون القطارَ وسائقَهُ، وكانَ السائقُ يردُّ تحيتَهم بصفاراتٍ قصيرةٍ.. وكان أحيانًا يُهَدِّئ من سرعَةِ القطارِ ليتمكنَ سائقو الشاحناتِ من عبورِ التقاطعات التي بلا حواجزَ.


توووت
نووو

وصلَ الفرنسيُّ محطةَ مِصْرَ في القاهرةِ.. فاستقبلَهُ مغاوري قائلاً: «أهلاً بك يا سيد فَرَنسي، عرفتُك من عَلَمِ بلادِك على القاطرةِ.. كيف حالُكَ وحالُ فَرَنسا؟.. أنا مغاوري، وهذا القطارُ النائمُ هناك اسمُهُ دسوقيٌّ».

قالَ الفَرَنسي بتحفُّظ: «أنا بخيرٍ، وَفَرنسا أيضًا بخيرٍ.. شكرًا لك. ولكن يبدو من أرقامِ قاطِرَتِك أنك لستَ مصريًّا».

قال مغاوري بسماحةٍ: «أنا أصلًا من المَجَر.. لكني أصبحتُ مصريًّا».

ردَّ الفَرَنسيُّ باستِياءٍ: «لأولِ مرةٍ أسمعُ عن بلدٍ تُعْطي جنسيتَها للقطارات».

قال مغاوري مُصَحِّحًا: «إننا لا نحصُلُ على شهادةٍ بالجنسيةِ المصريةِ، ولا نملِكُ جوازاتِ سفرٍ.. لكننا نختارُ أن نكونَ مصريين.. وكلٌّ من حولنا يتقبلون ذلك ويعتبروننا مصريين».

سألَ الفرنسيُّ وهو يشيرُ إلى دسوقيٍّ: «مِن أيِّ بلدٍ جاءَ هذا القطارُ؟».

همسَ مغاوري: «إنه مصريٌّ أصيلٌ.. هو وعتريس». فسكتَ الفرنسيُّ ولم يُعَلِّقْ وانشغلَ بعملِهِ الجديدِ، واعتادَ الحياةَ المصريةَ، وكانت حصيلَتُهُ من كلماتِ اللغةِ العربيةِ تزدادُ يومًا بعد يومٍ.. لكنه حَرَصَ ألا يتكلَّمَ إلا باللغةِ العالميةِ للقطاراتِ.





ذاتِ صباحٍ، التقى الفَرَنسيُّ مع كسّابٍ في محطةِ مصرَ بالإسكندريةِ، فسألَهُ: «ما السرُّ في أن اسم مُرسي منتشرٌ بين أهلِ الإسكندريةِ؟».

سُرَّ كسّابٌ من اهتمامِ الفَرَنسيِّ بالأمورِ المصريةِ، فقالَ له بحماس: «حكى لي دسوقي أنه كلما عاشَ رجلٌ تقيٌّ أو عالمٌ جليلٌ في بلدٍ من بلدانِ مصرَ، يحبُّ أهلُ البلدةَ هذا الاسمَ ويُسَمون أبناءهم به.. وكان المُرْسي أبو العباس يعيشُ في الإسكندريةِ، لذلك ينتشرُ اسمَ مُرسي بين أهلِها».

وانقطعَ الحديثُ برحيلِ كسّابٍ، وبَقِيَ الفَرَنسي وحدَهُ حتى موعدُ سفرِهِ في الثانيةِ بعد الظهرِ.


يا اسكندرية

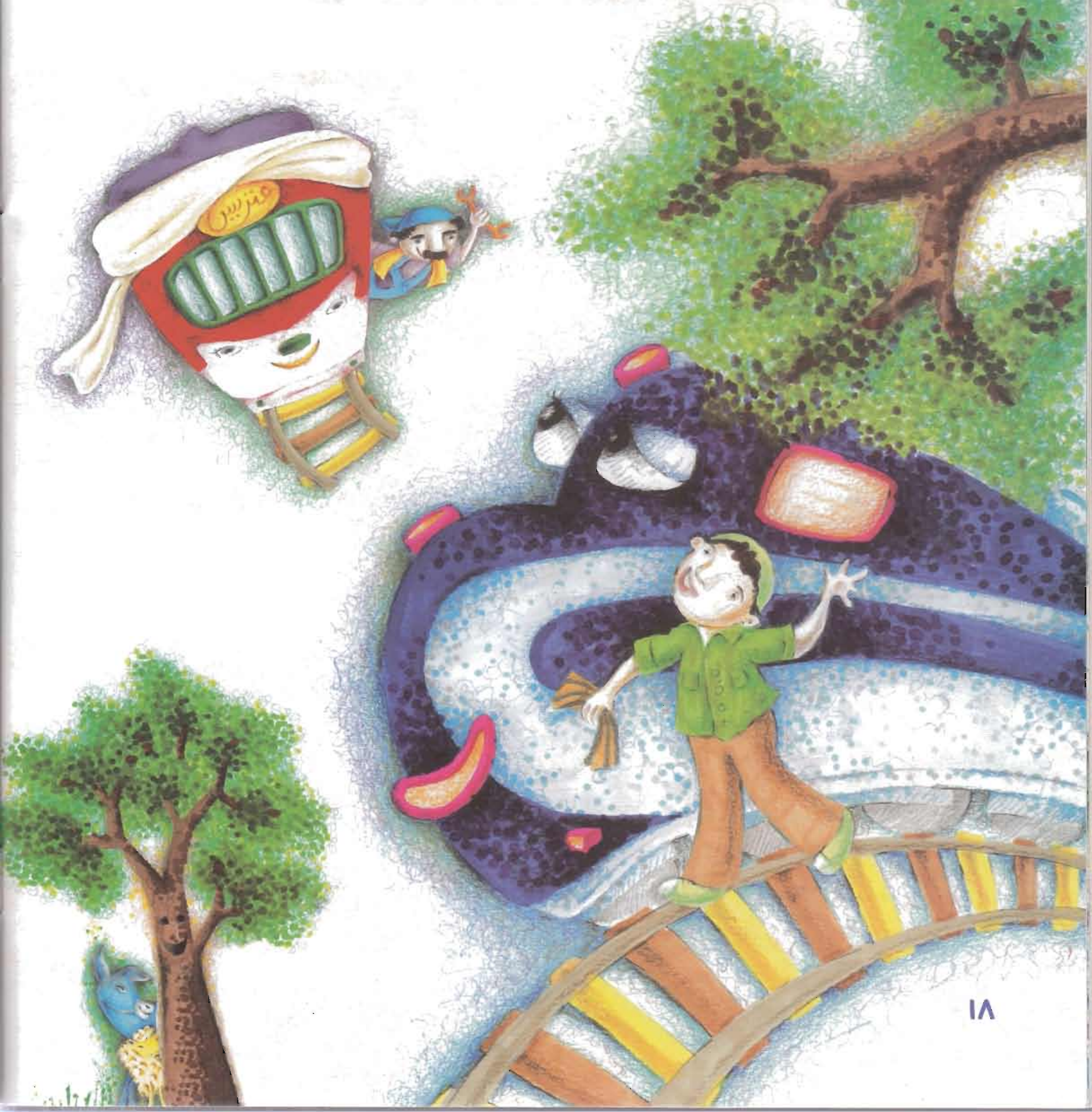


انطلقَ الفَرَنسيّ إلى القاهرةِ.. وبعد أن غادرَ المحطةَ مباشرةً، شعر بألمٍ حادٍّ في أحشائه، أخـذَ يَتزايدُ بالتدريج. فلما غادرَ محطةَ بِرْكةَ السَّبْعِ، وكان قد قطع نصفَ الطريقِ تقريبًا، اشتـدَّ عليه الألمُ، وشَعَرَ بأحشائه تكادُ تَتكسَّرُ، فراحَ يُصفِّرُ بصوتٍ ضعيفٍ صفاراتٍ طويلةً كأنها عَوِيلٌ وخَفَّضَ سرعتَهُ، لكنَهُ تحامَلَ على نفسِهِ وظلَّ سائرًا حتى رأى تَفْرِيعةً في السكةِ الحديد.. فعَبَرَ إليها وسارَ فيها حتى تأكد أن مقطوراتِهِ كلها أصبحت على التفريعَةِ.. ثم توقفَ، ورفضَ أن يتحركَ خُطوةً أُخرى.



نزلَ بعضُ الركاب يستطلعونَ الأمرَ، فقالَ لهم السائقُ: «عُطْلٌ في ماكنَةِ القاطرةِ».. وأسرعَ مساعدُ السائقِ فعَبرَ قضبانَ السكةِ الحديدِ وهبطَ إلى أقربِ قريةٍ ليُبَلِّغَ المسئولين.

وقفَ الفَرَنسيُّ ثلاثَ ساعات كاملة يعاني من ألمِ أحشائه، ومن شمسِ الظهيرة المُسَلَّطَة على رأسِهِ، بينما جلسَ سائِقُهُ على سُلَّمِ القاطرةِ ساكنًا. أما الركابُ فجلسوا في ظلِّ المقطوراتِ، يتحدثون ويتشاركون في الطعامَ والشرابَ، كأنهم أهلٌ وأصدقاءُ منذُ زمنٍ بعيدٍ.



وأخـيرًا سَمِـعَ الفَرَنسي صوتَ صفـيرِ عتريسٍ، قادمًا من جهـةِ الإسكندريةِ، يقولُ له: «تحمَّل يا سيد فرنسي، لقد جاءَ معيَ الميكانيكيُّ».

انتعشَ الفَرَنسيُّ، ولأولِ مرةٍ، لم يحاول أن يُخفي مشاعِرَهُ، فصاحَ بلغةٍ عربيةٍ ركيكةٍ: «أهلًا يا عتريس».

وقـفَ عتريسُ على القضيبِ الرئيسيِّ، وقالَ بإعجـاب: « كان تصرفُك حكيمًا أنْ وقفتَ على هذه التفريعةِ».

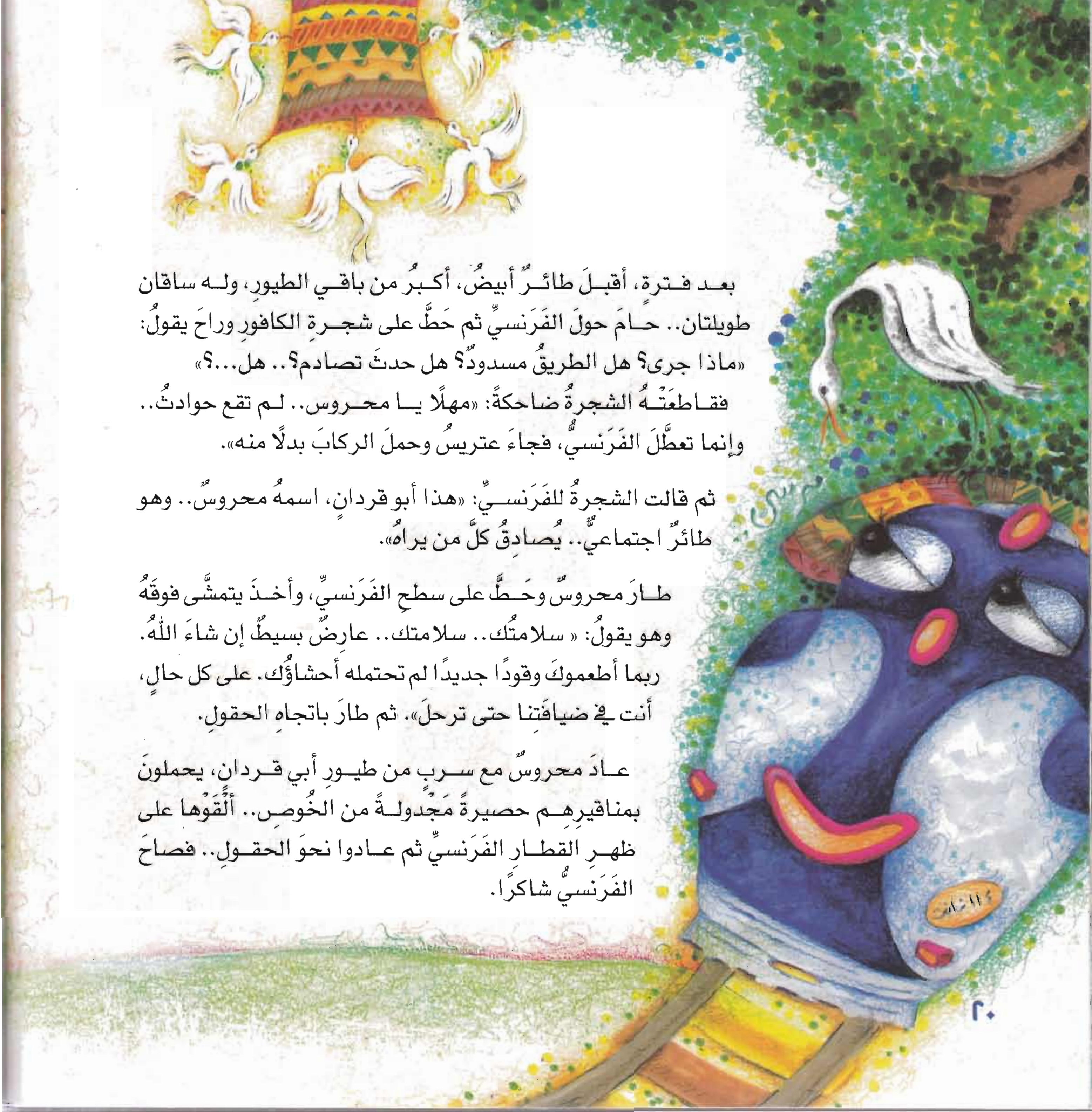
فتحَ الميكانيكيُّ فتحاتٍ في جانبيّ الفَرَنْسي، وراحَ هو والسائقُ يعملان بصمتٍ. بينما جمعَ الركابُ حقائبَهُمْ وصعـدوا مقطـورات عتريسٍ في هَرْجٍ.

عادَ الميكانيكيُّ إلى عتريسٍ وهو يقولُ لسائقِ الفَرَنْسيِّ إنه سيعودُ في الصباحِ ومعه قِطَعُ الغيارِ المطلوبـةِ.. فودَّعَـهُ السائـقُ، ثم تَمَدَّد في قاطرةِ الفَرَنسيِّ.. ونامَ.

قالَ عتريسُ باللغةِ العربيةِ لشجرةِ الكافورِ المجاورةِ لتفريعةِ السكةِ الحديدِ: «اطلبي من أصحابِنا أن يساعدوا زَميلَنا الفَرَنْسيَّ.. فهو ليسَ معتادًا على هذا الجوِّ الحارِ».

تعجـبَ الفَرَنسيُّ عندما رأى قطارًا يُحَدِّثُ شجـرةً.. وزادَ عَجَبُهُ وإعجابُهُ، عندما سَمِعَ الشجرةَ تقولُ:

«في رعايةِ اللهِ يا عتـريس واطمئن علـى زميلِك».. ثم غلبَهُ التأثُّرُ، وقالَ لنفسـه معترفـًا: «يا لهُ من شعورٍ جميلٍ أن تتكلَّم كلَّ الكائناتِ وتتفاهمَ بلغةٍ مشتركَةٍ كأنهم أسرةً واحدةً».



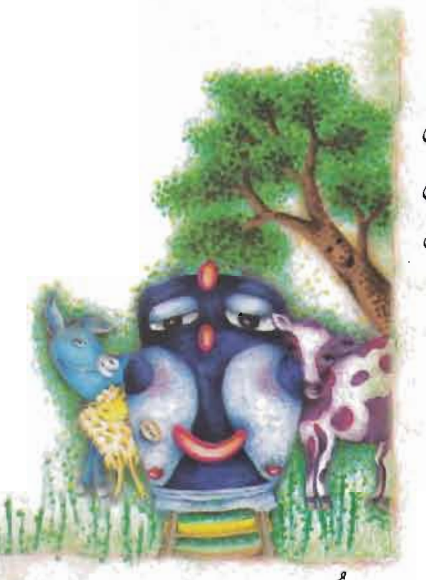
بعـد فـترة، أقبـلَ طائـرٌ أبيضُ، أكـبرُ من باقـي الطيورِ، ولـه ساقان طويلتان.. حـامَ حولَ الفَرَنسيِّ ثم حَطَّ على شجـرةِ الكافورِ وراحَ يقولُ: «ماذا جرى؟ هل الطريقُ مسدودٌ؟ هل حدثَ تصادم؟.. هل...؟»

فقـاطعَتْـهُ الشجرةُ ضاحكةً: «مهلًا يـا محـروس.. لـم تقع حوادثُ.. وإنما تعطَّلَ الفَرَنسيُّ، فجاءَ عتريسُ وحملَ الركابَ بدلًا منه».

ثم قالت الشجرةُ للفَرَنسـيِّ: «هذا أبو قردانٍ، اسمهُ محروسٌ.. وهو طائرٌ اجتماعيٌّ.. يُصادِقُ كلَّ من يراهُ».

طـارَ محروسٌ وحَـطَّ على سطحِ الفَرَنسيِّ، وأخـذَ يتمشَّى فوقَهُ وهو يقولُ: « سلامتُك.. سلامتك.. عارضٌ بسيطٌ إن شاءَ اللهُ. ربما أطعموكَ وقودًا جديدًا لم تحتمله أحشاؤُك. على كل حالٍ، أنت في ضيافَتِنا حتى ترحلَ». ثم طارَ باتجاهِ الحقولِ.

عـادَ محروسٌ مع سـربٍ من طيـورِ أبي قـردان، يحملونَ بمناقيرِهِـم حصيرةً مَجْدولـةً من الخُوصِ.. أَلْقَوْها على ظهـرِ القطـارِ الفَرَنسيِّ ثم عـادوا نحوَ الحقـولِ.. فصاحَ الفَرَنسيُّ شاكرًا.



ظلَّ الفَرَنسـيُّ واقفًا بجوارِ شجرةِ الكافورِ، تُغطِّي الحصيرةُ مُقدمةَ سَطْحِه، تتوافدُ عليه أسرابُ أبي قَصادةِ واليمامُ والعصافيرُ.. تقتربُ منه وترفرفُ بأجنحتِها ثم تبتعدُ.

ثم أتتَ بعدها الحيواناتُ تزورُهُ وتعرِضُ عليه خدماتَها. عرض عليه الجاموسُ أن يسقيه حليبًا، وعرضت الأبقارُ أن تمضي الليل بجوارِه حتى لا يَبيتَ وحدَهُ، وقَدَّم له الحمارُ نصيبهُ من التبنِ، واقترحت عليه الأغنامُ أن تصحبه في نزهةٍ على ضفاف التُّرَع.. ولم يَجِد الفرنسي ما يقوله، فظلَّ يردد: «شكرًا جزيلًا.. شكرًا جزيلًا». ثم يقول لِنَفْسِهِ: «كأنهم أهلي.. كأنني واحدٌ منهم».

مالـت الشمسُ نحو المغيبِ، ووقفَ محروسٌ على غصـنِ الكافورةِ، يسألُ الفَرَنسيّ عـن الحياةِ في فرنسا. قالَ الفَرَنسيُّ معترفًا: «ليست كالحياةِ في مصرَ.. فالكائناتُ المختلفةُ في فرنسا لا تتبادلُ الحديثَ». هزَّ محروسُ رأسَهُ وهو يقولُ: «مساكين.. مساكين».

وفجـأةً، سَمِعَ الفَرَنسيُّ صوتًا غريبًا قادمًا مـن جهةِ الحقولِ.. سمعَ صفيرًا باللغةِ العالميةِ للقطاراتِ يقولُ له: «تُصْبِحُ على خيرٍ يا سيد فَرَنسي».
فسألَ بدهشة: «ما هذا»؟

قال محروسٌ: إنه الجرَّارُ (المحراث الآلي)، تَعضَلَّمَ بعضَ لغتِكُم من مجاورتِهِ للسكةِ الحديدِ.. فحياكَ ليشعرَكَ أنَكَ بين أهلكَ».

قالَ الفَرَنسيُّ: «أشعُرُ أنني فعلاً بين أهلي.. مع أني لم أقضِ في مصرَ إلا سنةً واحدةً».

فردَّ محروسُ مُتعجبًا: «كيف عشتَ في مصرَ سنةً كاملةً قبلَ أن تشعُرَ أنك بين أهلِكَ؟».

قالَ الفَرَنسيُّ: «لم أتعوَّد الاختلاطَ بالآخرين».

فتدخلت الكافورة لتُغيرَ الموضوعَ، فقالت:
«لم نعرف اسمَكَ حتى الآن يا سيد فَرَنسي».

قال الفرنسيُّ بحرجٍ: «اسمي الفرنسي ١١٤ نانت».

قال محروسٌ باندفاعه المعتاد: «مسكين.. ألم تجد اسمًا مصريًّا يناسبُكَ حتى الآن؟».

قالَ الفَرَنسيُّ: وجدتُ اسمًا يعجبُني.. لكني لا أعرفُ ماذا أفعلُ ليصبحَ اسمي».

رد محروسٌ: «أمرٌ بسيطٌ.. قل لنا ما هو وسوف نناديكَ به فيصبِحُ اسمَك».

قال الفَرَنسيُّ: «يعجبني اسمَ مُرْسي، وأظُن أنه يناسبُني، فأنا من أهلِ الإسكندريةِ».

قالت شجرةُ الكافور بهدوئها المعتادُ: «مبروكٌ يا مُرسي.. كنتَ ضيفَنا، والآن أصبحتَ واحدًا منَا».. وحركَ أبو قردانَ جناحيْهِ وهو يصيحُ: «مُرسي.. مُرسي.. مُرسي..»

زحفَ الظلامُ على الكونِ، ونامَ مُرسي مكانَهُ، ونامَ محروسٌ على غصنِهِ.. ولم يوقِظْهُما إلا أذانُ الفجرِ.

فتحَ مُرسي عينيْهِ، ونَظَرَ حولَهُ ليتأكدَ أن ما مَرَّ به لم يكن حُلمًا.. حتى رأى الطيورَ ترفرفُ نحوه. ثم رأى الجاموسَ والبقرَ والأغنامَ والحميرَ تمرُّ به في طريقِها إلى الحقولِ وتحييه: «صباحُ الخيرِ يا سيد فَرَنسي».

فيقولُ لهم محروسُ مُصَحِحًا: «أصبحَ الآن اسمُهُ مُرسي».

مع شروقِ الشمسِ، وصلَ عتريسٌ عند التفريعَة.. ونزلَ منه الميكانيكيُّ حاملًا أدواتِه، وانهَمَكَ مع السائقِ في العملِ، بينما راحَ عتريسُ يسألُ مُرسي عن أحوالِه.

في تلكَ اللحظةِ.. انطلقَ صفيرُ الجرَّارِ قائلًا: «صباحُ الخيرِ يا سيد مُرسي.. كيفَ كانت ليلُتكَ»؟

تعجَّبَ عتريسٌ.. ثم فوجئَ عندما سمعَ مُرسي يردُّ باللغةِ العربيةِ: «صباحُ النّورِ ياسيد جرّار.. كانت ليلةً هادئة.. شكرًا لك».

فَرِحَ عتريسُ، فصاح وهو يَهُمُّ بالرحيلِ: «معَ السلامةِ يا مُرسي.. أراكَ في محطةِ مصرَ بالإسكندريةِ قبلَ الظهرِ».



ردَّ مُرسي بحماس: «إن شاءَ اللّهُ يا عتريس».





البحر الأبيض المتوسط
مطروح
الاسكندرية
رشيد
دمياط
العريش
دمنهور
المنصورة
السويس
سيناء
واحة سيوة
القاهرة
الجيزة
الفيوم
المنيا
دهب
الغردقة
الأقصر
أسوان
البحر الأحمر

سلسلة قطار مصري

فـي مصر، كل قطار له اسم: "الفرنسي"، "الأسباني"، "المجري"..
وهكذا. ولكن، لماذا تُسمى القطارات المصرية بأسماء بلاد أجنبية؟

في سلسلة قصص «قطار مصري»، ومن خلال مغامرات شيقة، ستتعرف على كل قطار وقصة وصوله إلى مصر، وكيف أصبح مصريًا خالصًا.



قطار مجري، أحب المصريين وتمنى أن يكون واحدًا منهم.



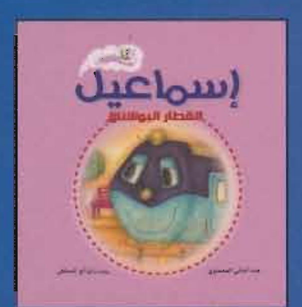
قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف المصريين وتعاونهم.



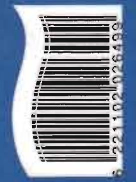
قطار أسباني، أحب المصريين وموسيقاهم وغناءهم.



قطار صيني، أعجب بلغة مصر ومعالمها وحضارتها.



قطار يوغوسلافي من البوسنة، سمح وكريم.



دار الشروق
www.shorouk.com